

مع الرفيق كرنيك عطاريان شاعر الشعب الأرمني في الوطن اللبناني والوطن الأرمني وفي الشتات

أنشر فيما يلي نص الكلمة التي ودعت بها الرفيق كرنيك في الاحتفال الذي أقيم تكريماً له بعد وفاته.

نودّعك اليوم، إلى مقرّك الأخير، بأسى عميق. نودّعك بشعور لا حدود للألم فيه، أننا نفقد برحيلك كبيراً من حزينا وشعبنا، نفقد شاعراً وكاتباً ملأت أشعاره وكتاباتة لبنان وأرجاء العالم الواسعة، وحملت إلى كل اللبنانيين عرباً وأرمناً، إلى كل الشعب الأرمني في أرمينيا وفي كل مناطق الهجرة في أربع جهات الأرض، كل همومهم وكل الآلامهم، وحملت معها كل روعة الآمال والمطامح، في الحرية والتقدم، والكفاح الصعب المضني المليء بالاستشهاد من أجل تحقيقها.

منذ ما يقرب من الأربعين عاماً وأنت تكافح في صفوف حزبك الشيوعي، مناضلاً مع المناضلين، في كل صفوف المعارك التي خاضها الحزب، على كل الجبهات، دفاعاً عن الاستقلال وضد المشاريع الامبريالية والصهيونية والرجعية، ومن أجل الحرية والديمقراطية والخبز، ومن أجل حقوق الكادحين كافة. لم تترك مظاهرة إلاً وكنت واحداً من جنودها الشجعان. ولطالما كنت، مع رفاق لك آخرين، في الطليعة، في قيادة المعارك، مستهيناً بثتى الصعوبات التي كانت، ولا تزال، تواجه المناضلين. ولقد أدركت بوعي ثوري حقيقي، منذ شبابك الأول، كم هي عميقة وراسخة علاقات الأخوة والكفاح التي أسهمت، بدورك، في تعميقها وترسيخها، بين شعبيك اللبناني والأرمني. وكنت، مع رفاقك الأرمن، رواد هذا الانصهار الذي نعتز به جميعاً، بين كل اللبنانيين، من كل القوميات والطوائف، الذي يتمثل في القوى الديمقراطية، وفي الحزب الشيوعي، بوجه خاص، في سياساته، وفي كل خطته اليومية، وفي برامجه العامة للتغيير الديمقراطي، ولوحدة الوطن المحرّر المستقل العربي في الانتماء والهوية بتعددتهما.

وقد كنت، من موقعك في صفوف الحزب، وفي قيادته، حاملاً بتواصل، وبدون كلل، راية النضال من أجل أعمق تحالف وطني ديمقراطي، داخل لبنان، وعلى الصعيد العربي وكنت، في الوقت ذاته، وبوعي عميق، من موقعك هذا، أيضاً، حاملاً، بثبات وحزم، راية الأممية، راية الأمانة لمبادئها، راية الصداقة مع الشعب السوفياتي والبلاد السوفياتية وحزب لينين. وجسدت بأمانة، كل معاني هذه الصداقة، فيما كتبت من شعر ونثر، مليئين بالحب، وبالأمل، بلغتك الأرمينية الصافية، لشعبك الأرمني في كل أماكن وجوده، ولا سيما في الوطن الأم أرمينيا السوفياتية. فأصبحت،

بجدارة، أحد أكبر شعراء الشعب الأرمني، وأحد أكبر أدبائه، وأحد أفضلهم إليه وأحبهم إلى قلبه، في جمهورية أرمينيا السوفياتية، وحصلت على أرفع الأوسمة تعبيراً عن هذا الحب لك، وتقديراً لأدبك وللموقع الذي يحتله في حياة الشعب الأرمني. في كفاحه، وفي تضحياته وفي الآمال الكبيرة التي يجسدها قيام أول حكومة للشعب الأرمني، هي حكومة العمال والفلاحين، والمتقنين الثوريين وكل المكافحين من أجل حرية الشعب الأرمني، الحكومة السوفياتية الأرمنية التي تشكل جزءاً من الاتحاد السوفياتي، الدولة الاشتراكية الأولى، وليدة ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى.

أيها الرفيق الغالي،

قبل غيابك بيومين أعلنت في جريدتك "النداء"، صرخة ألم، باسم شعبك اللبناني، صرخة احتجاج على الألم الذي يعاني منه شعبك في ظل الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية والجوع الذي يهدّد الكادحين، فيخرجون اليوم، هذا اليوم، في شكل احتجاج جماهيري عليه وعلى أسبابه ومسببيه، صرخة احتجاج على استمرار الحرب الأهلية، واستمرار الظواهر الخطيرة التي تتزافق معها، ظواهر الصراع الدموي المدمر على أساس طائفي، ظواهر الظلامية والهيمنة الفئوية، ظواهر التفتت، في الدولة ومؤسساتها. وفي الوطن ومناطقه، وفي الشعب وفئاته ومكوناته. ولكم كانت معبرة، عميقة في تعبيرها، تلك الصرخة "آخ"، حين أطلقتها في شكل معاناة من الألم واحتجاج عليه، في آن. الألم الذي تسببه وتزيد في حدته هذه الحرب الظالمة المدمرة، للشعب اللبناني والفلسطيني، التي ما انفكّ حزبك الشيوعي، يعمل بدأب، وعناد، ويكل إمكاناته، مع كل القوى الوطنية والديمقراطية، من أجل إيقافها، فوراً، وبدون تأخير، ووضع حد لاستفحالها واستفحال نتائجها، ومنع وقوع الكارثة، التي يقود إليها استمرار هذه الحرب، والعمل، بكل الوسائل، لإلغاء أسبابها، ووضع الأسس الصحيحة الكفيلة بمنع تكرارها، وإعادة اللحمة والتضامن الكفاحي إلى أسس العلاقة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني.

قلت، في صرختك، وقال حزبك في بياناته المتكررة، ما ينبغي أن يقال، من أنّ قيام هذه الحرب، واستمرارها، لا يمكن إلاّ أن يخدم العدو الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني، إسرائيل وأميركا. وفي هذه اللحظة التي نقف فيها بألم، لنودّعك، نتذكّر صرختك هذه، ونرفع الصوت باسمك، وباسم كل الشيوعيين، وكل الوطنيين والديمقراطيين، في لبنان، وفي الوطن العربي، من أجل إيقاف النزف وولوج طريق الحل، طريق الخلاص من الكارثة الراهنة.

فتحية إليك أيها الرفيق الغالي، تحية وفاء للتراث الذي خَلّفته لحزبك ولشعبك، وتحية عهد، بأن نستمر في نفس النهج حتى تتحقق أحلامك وأحلامنا، وكل المطامح التي بشرت بها، كشيوعي، وككاتب وكشاعر.

ثق يا رفيقنا الغالي، يا كرنيك، أيها المناضل، أيها الشاعر، أيها الشهيد، أنك في الذاكرة مدى الدهر.

لا تكفي هذه الكلمات في وداع الرفيق كرنيك. ذلك أنني تعرفت إليه في ميادين عديدة من النشاط الحزبي لا سيما عندما صار شريكاً لي في قيادة منظمة الحزب في العاصمة وضواحيها التي كان رئيساً لنا فيها الرفيق أوهانس أغبشيان. لكن تلك الفترة من وجودنا المشترك في قيادة تلك المنظمة لم تدم طويلاً. إذ غادرت البلاد في مهمة أممية داخل قيادة مجلس السلم العالمي. ورغم المهمات الداخلية والخارجية التي كلفت بها من قبل الحزب فقد بقيت حريصاً على الدوام على علاقة متواصلة ومميزة معه ومع شقيقه الشاعر ألفونس الذي لم يكن عضواً في الحزب.